أولويات البحث السوسيولوجي في العالم العربي

تحليل، مواقف ومقترحات

أ.د. حسن رشيق

مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية / جامعة قطر
Ibn Khaldon Center for Humanities and Social Sciences/ Qatar University

أولويات البحث السوسيولوجي في العالم العربي

تحليل، مواقف ومقترحات

أ.د. حسن رشيق

مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Ibn Khaldon Center for Humanities and Social Sciences

العنوان: أولويات البحث السوسيولوجي في العالم العربي
(تحليل، مواقف ومقترحات)

المؤلف: أ.د. حسن رشيق

السنة: 2022

الجهة: مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة
عن وجهة نظر مركز ابن خلدون

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

تطبيق نفس المقتربات على الإرث العلمي كيفما كان مصدره 9

تحديد توجهاتنا النظرية بصفة صريحة 11

تطوير البحوث الامبريقية المؤَسَسة نظريا 13

الانفتاح على المحيط الاجتماعي والسياسي 16

تعزيز السوسيولوجيا التطبيقية 20

البحث وتعدد اللغات 23

تحقيق التوازن بين البحوث الفردية والبحوث الجماعية 27

المصادر والمراجع 35

أولويات البحث السوسيولوجي في العالم العربي

تحليل، مواقف ومقترحات

أ.د. حسن رشيق[1]

بالإضافة إلى نشر الأبحاث ونقل المعرفة، دورنا كباحثين يقتضي إجراء مناقشات منتظمة حول ممارساتنا الأكاديمية وإنتاجاتنا المعرفية سواء تعلق الأمر بالمحتويات، بالفاعلين، بالمؤسسات، بالسياق السياسي أو بالمساهمة في معرفة مجتمعاتنا. لرؤية أكثر وضوحًا لإنتاجاتنا في العلوم الاجتماعية، نحن بحاجة إلى درا سات تركيبية منتظمة، ولاستشارف المستقبل نحن بحاجة إلى تقييمات متعددة تساعدنا على رسم «خرائط طريق» لمستقبل العلوم الاجتماعية في العالم العربي. في هذا النص، أتفحص أولويات البحث السوسيولوجي في العالم العربي. ونظرًا لضيق المساحة والوقت المخصصَيْن له، وللطبيعة البراغماتية للسؤال (استعملت كثيرًا أفعالًا مثل «ينبغي»، «يجب»)، تبنّينا نهجًا توضيحيًا أكثر منه استقرائيا.

أسئلتي مستوحاة من سوسيولوجيا المعرفة بشكل عام وسوسيولوجيا المعرفة العلمية بشكل خاص[2]. هكذا سأتناول البحث كنشاط فكري واجتماعي لباحثين، فرادى أو منظمين في جماعات علمية، ذات توجهات نظرية، أخلاقية وأيديولوجية. ضمن هذا الإطار العام المبسط، سأطرح على التوالي أسئلة متعلقة بطريقة تقييم الإرث السوسيولوجي،

---

1) أنثروبولوجي، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء.

2) Mannheim, Karl. Ideology & Utopia, An Introduction to the Sociology of Knowledge, translated from the German by Louis Wirth and Edward Shills. San Diego : A harvest Book, 1985. Merton, Robert King. Social theory and social structure. Glencoe, Ill. : Free Press, New York, The Free Press, 1968.

بالتوجهات النظرية للباحثين، بعلاقاتهم مع محيطهم الاجتماعي والسياسي، بالعلاقة بين البحث واللغة. وسأنهي بدراسة ما يمكن تسميته بالبنية الاجتماعية (التحتية) للبحث العلمي والتي تمثل أولوية قصوى وشرطًا أساسيًا لتدعيم وتحسين المنتج العلمي. سأتطرق حينها لمأسسة البحث السوسيولوجي مُركزًا على درجة اندماج الباحثين في الشبكات والجماعات العلمية. أعترف أنني أشعر ببعض الإحباط لإداركي حدود هذه المساهمة التي أعتبرها خطاطة فقط آمل أن تسمح بإجراء مزيد من الدراسات المتعمقة.

أقترح تنظيم عرضي حول الأولويات التالية:

. تطبيق نفس المقتربات على الإرث العلمي كيفما كان مصدره.

. تحديد توجهاتنا النظرية بصفة صريحة.

. تطوير البحوث الامبريقية المؤَسَسة نظريا.

. الانفتاح على المحيط الاجتماعي والسياسي.

. تعزيز السوسيولوجيا التطبيقية.

. البحث وتعدد اللغات.

. تحقيق التوازن بين البحوث الفردية والبحوث الجماعية.

✦ تطبيق نفس المقتربات على الإرث العلمي كيفما كان مصدره

تم وصف البلدان العربية وما زال من قبل أجانب، رحالة، باحثين استعماريين، أكاديميين وخبراء. دراسة هذا الإرث والمناهج التي سلكها من صميم مسؤولياتنا. بعد الدراسات النقدية التي حاولت إزالة الطابع الاستعماري أو الاستشراقي عن أدبيات العلوم الاجتماعية، أعتقد أن أعمال الأجانب، سواء كانوا مستعمرين أو مستشرقين أو غير ذلك، لا ينبغي أن تكون موضوعًا حصريًا ومنفصلًا ينطوي على أسئلة خاصة بها

تمامًا، على العكس من ذلك، أرى أنه ينبغي تطبيق نفس التوجهات النظرية على الباحثين، بغض النظر عن جنسياتهم وتوجهاتهم الأيديولوجية، ولا شك أن للباحث الاستعماري أو الباحث القومي أو العربي أو الإسلامي أو الماركسي أخلاقًا وأيديولوجيات مختلفة أو متعارضة، ولكن نفس السؤال حول كيف توجه الأيديولوجيا، كيفما كان محتواها، مناهج ونتائج البحث العلمي، يجب أن يطرح على منتجات الجميع، وفي نفس الاتجاه، نقترح أيضًا مراعاة التوجهات النظرية (تطورية، دركايمية ...) للباحثين وكذلك وضعيتهم الاجتماعية (أستاذ جامعي، خبير، مثقف ملتزم، مسؤول استعماري). باختصار، يجب أن نعرف بالنسبة للجميع، ما هي آثار التوجهات الآيديولوجية والتوجهات النظرية والوضعية الاجتماعية على المعرفة المنتجة[3].

لدينا دراسات تركيبية، وإن كانت نادرة نسبيًا، في السوسيولوجيا والأنثروبولوجيا في العالم العربي[4]. نتفهم أن تغطي هذه الدراسات، في خطواتها الأولى، عدة مجالات وعدة مراحل تاريخية، وأن تخصص صفحات قليلة لأسئلة كثيرة، لكن يجب تجاوز هذه النظرة العامة والتي تبقى ضرورية في المراحل المبكرة لتطور العلوم الاجتماعية، ويجب علينا الانتقال تدريجيًا إلى سرعة أعلى، واستبدال العناوين العامة (مستقبل العلوم الاجتماعية، آفاق السوسيولوجيا، ممارسة الأنثروبولوجيا في العالم العربي أو في بلد عربي) بإشكاليات أكثر دقة: علماء الاجتماع والسلطة، النظريات السائدة، الجماعات العلمية، العلوم الاجتماعية واللغة، أدلجة العلوم الاجتماعية.

تجدر الإشارة إلى أن المقارنة المنهجية بين البلدان العربية تكاد تكون مستحيلة، ومن المفهوم أن كل باحث يفضل مداخل وأسئلة أهملها أو أغفلها آخرون، وللحصول على

3) رشيق، حسن. القريب والبعيد ، قرن من الأنثروبولوجيا بالمغرب. ترجمة حسن الطالب. الدار البيضاء، بيروت: المركز الثقافي العربي، 2018. ص.5231.

4) باقادر، أبو بكر أحمد وعرابي، عبد القادر، آفاق علم اجتماع عربي معاصر، دار الفكر، دمشق، 2006.

فكرة أوضح عن حالة السوسيولوجيا في البلدان العربية بأبعادها المتعددة، سيكون من الضروري تطوير دراسات جماعية على مستوى البلدان، تكون قابلة للمقارنة على نطاق أوسع، المغارب، المشرق، بلدان الخليج، أو العالم العربي.

✦ تحديد توجهاتنا النظرية بصفة صريحة

من الأهم أن لا نكتفي بالتعليق على أعمال الآخرين، تفكيكها، انتقادها، إدانتها، فمن الضروري ترجمة مواقفنا وتوجهاتنا النظرية إلى أبحاث ملموسة لمحاولة «النجاح» حيث «تعثر» آخرون. في هذا الصدد، تجدر الإشارة إلى أن ما نفتقده بشكل رهيب في أبحاث العلوم الاجتماعية هو استخدام أطر نظرية، أو توضيح المحددات أو التوجهات النظرية للبحث (تعبيري المفضل لأنه ينطوي على حرية نسبية للباحث). وهنا لا نطرح السؤال حول النظرية انطلاقا من مفاهيم الاستيراد أو التأصيل أو التوطين، فهي ليست مسألة نسخ علم غربي، أو النظر بعيون الغرباء، أو استبدالها بعيون الأهالي، أو خلق نظرية محلية عربية، إسلامية، مصرية، تونسية. فإذا كانت هناك حدود في العلوم الاجتماعية، فهي ليست لغوية ولا عرقية ولا قومية، ولكنها نظرية وإبيستيمولوجية. لدينا الاختيار بين الجاهز للارتداء والمُصمّم على المقاس، وأنا أفضل القيام بأبحاث مصمّمة على المقاس دون أحكام مسبقة، أو بشكل أدق بوضع أحكامي المسبقة على المحك. نحن بصدد مقارنة، تكييف، مجابهة بين النظريات والموضوع المدروس. على سبيل المثال، نظريات العلمنة، الحداثة، والديمقراطية التي تم بناؤها انطلاقا من سيرورات تاريخية غربية، يمكن أن تُنتقد في بعض النواحي، تُحسن، أو تُتجاوَز انطلاقا من دراسة سيرورات تاريخية تهم بلدانًا غير غربية[5].

غني عن القول أن الدراسات النظرية والمنهجية ضرورية، ولكن هنا أيضًا يجب أن تضم أمثلة وفيرة توضح الأسئلة النظرية المطروحة، أمثلة مستقاة من الأدبيات العربية

5) Rachik, Hassan, "Where Islamists Ditinguish Politics From Preaching", in Oasis, Venice, N°. 18, Decembre, 2013, p. 39-44

والعالمية. في هذا الصدد، نفتقد للأسف للكتب والمداخل النظرية والمعاجم النقدية، وهي أدوات لا غنى عنها لتقديم دراسات تركيبية لأهم الأعمال والنظريات السوسيولوجية، على المستويين الدولي والعربي، ويُحبّذ التركيز أيضًا على تخصصات فرعية كسوسيولوجيا الأسرة، السوسيولوجيا الريفية أو سوسيولوجيا التغير[6].

علاوة على ذلك، يميل الإهمال النظري إلى اعتبار تقنيات البحث (مقابلة، استبيان، ملاحظة مباشرة) محايدة ولا تتطلب أي مسائلة نظرية. من النادر أن نأخذ في الاعتبار البعد الفلسفي للنظريات والمناهج ناهيك عن تقنيات البحث. يمكننا تدريس ما هي المقابلة الموجهة، والمقابلة شبه الموجهة، وما هو السؤال المفتوح أو المغلق، والسؤال المتعلق برأي أو بواقعة. أرى أنه ينبغي قبل كل شيء أن نعرف أيضًا وبالأساس أن استعمال المقابلة افترض استعدادًا فكريًا وأخلاقيًا: احترام المتحاورين وثقافتهم، كلماتهم والمعاني التي ينسبونها لأفعالهم. كان بعض الباحثين الاستعماريين يترددون في اللجوء إلى تقنية المقابلة معتقدين أنهم الوحيدون الذين يملكون المعرفة وأن الأهالي لم يكن لديهم أي شيء يستحق الإنصات. في أيامنا هذه، أصبح استخدام المقابلة أمرًا شائعًا لجمع المعلومات والآراء، بينما هي قبل كل شيء مدخل هائل لفهم الحياة الاجتماعية والثقافية للمحاورين. من ناحية أخرى، يفترض الاستبيان أن التفسير والتعميم يجب أن يأخذ في الاعتبار الاختلافات الفردية، ويفترض قبل كل شيء وجود استقلالية الأفراد في المجتمع المدروس. لهذا يستخدم السوسيولوجيون الاستبيان، ونادراً ما يُستخدَم من قِبل الأنثروبولوجيين الذي قام جلهم بتعميم نتائجهم على الجماعات المدروسة بأكملها.

---

6) في هذا السياق ، بدأت، في إطار المركز المغربي للعلوم الاجتماعية، مشروعًا مخصصًا للمداخل الجامعية (تيختبووك). الكتاب الأول صدر للتو: حسن رشيق، السوسيو أنثروبولوجيا الريفية. البنية والتنظيم والتغير في المغارب، الدار البيضاء، مفترق الطرق، 2019 (بالفرنسية). يتكون من جزأين: الأول نظري (225 صفحة) والثاني يتضمن مقتطفات توضيحية من دراسات مغاربية وأجنبية (130 صفحة). لدينا كتاب السوسيولوجيا الحضرية (تحت الطبع) وكتب أخرى سوسيولوجيا الأسرة، الدراسات الجندرية، نظريات ومناهج علم التاريخ ستنشر من قبل باحثين في المركز المغربي للعلوم الاجتماعية.

✦ تطوير البحوث الإمبريقية المؤسسة نظريًا

لا يمكن تحسين المنتج السوسيولوجي دون تحقيق توازن معين بين الأعمال النظرية البحتة والأعمال الإمبريقية المستندة إلى نظرية أو نظريات. أقول هذا وأنا أدري الإكراهات الخاصة بالحقول العلمية الناشئة، كما ذكرت من قبل بالنسبة للدراسات التركيبية النظرية، فإن جزءًا كبيرًا من الدراسات الإمبريقية استكشافي ووصفي يفتقد أي ترسيخ نظري[7]. أمام عالم غير مستكشَف، يميل الباحث، في نفس الدراسة إلى طرح الحد الأقصى من الأسئلة المحتملة، وكأنه آخر بحث له في حياته، وهذا يؤدي في كثير من الأحيان إلى دراسات عامة للغاية لا تكاد تلمس الأشياء الموصوفة، فعلى سبيل المثال، ضاعفت الدراسات الأولى حول الشباب مجالات الدراسة: المدرسة ، أوقات الفراغ ، الصداقة ، العمل، النشاط الجنسي، السياسة، المال، الأسرة، الماضي، المستقبل، صراع الأجيال، والانحراف. وتتغير تدريجيًا هذه الطريقة «النهمة» في بناء الموضوع حيث تركز الدراسات على عدد محدود من الأسئلة متعلقة بجوانب محددة ومحدودة لموضوع البحث، وفي هذا الصدد تبنيت ما كتبه إدوارد فيسترمارك حول تصوره للوصف الإثنوغرافي: «كثير عن القليل أفضل من قليل عن الكثير».[8]

هناك صنفان من الأبحاث يجب تجنبهما: الأول يقتصر على الأدبيات الغربية (غالبًا المترجم منها إلى العربية) غاضًا الطرف عن أي معطيات، والثاني يدير ظهره لأي نظرية منغمسًا في مصطلحات محلية وأسئلة محلية لا يفهمها غير المحليين، ومع هذا الغلو المزدوج؛

---

7) يكشف تحليل مقالات منشورة بين عامي 2010 و2014 في ثماني مجلات عربية النتائج التالية: 96 ٪ نظري ، 6 ٪ إمبريقي، 16 ٪ يجمع بينهما و9 ٪ تأملية ، (بامية، محمد. العلوم الاجتماعية في العالم العربي ،أشكال الحضور، 5102 ص. 75، 26؛ الهراس، المختار، دوريات العلوم الاجتماعية العربية 2015، 17،18). في المغارب، تقدم دراسة أخرى لعينة مكونة من 056 كتاب نتائج مختلفة: 33٪ نظري ، و19٪امبريقي بحت و44٪ يجمع بينهما. (أيت منصور،هشام. مراجعة للكتابات السوسيولوجيّة باللغة العربيّة في الدول المغاربيّة بين 2000 و2016. ورقة خلفية. بيروت: المرصد العربي للعلوم الاجتماعية، المجلس العربي للعلوم الاجتماعية، 2017.ص.27).

8) (“ Better much about little than little abut much”)

نحن لا نتقدم سواء من الناحية المعرفية والنظرية أو من حيث فهم المجتمعات المدروسة. ليس الرهان في تلخيص النظريات ونسيانها بعد عرضها في مقدمة البحث بل في استعمالها بطريقة نقدية في بناء المعطيات، وصفها، تأويلها أو تفسيرها. وللقيام بذلك، ينبغي أن نتوقف عن الرغبة في مضاعفة الأسئلة ووصف كل شيء، كما هو الحال في عمل استكشافي. نحن نعلم أن من ليس لديه سؤال أو فرضية يميل إلى قطف كل شيء. وعلى عكس ذلك؛ عندما يكون الوصف موجهًا نظريًا، فإنّنا لا نسجل كل ما نراه ونسمعه، بل نختار وفقًا لتوجهاتنا النظرية. تعتمد فكرة الواقع المعيش أو الواقعة الخام على نظرية إمبريقية متجاوزة، وهي نظرية تخشى «تمويه» و»تلوث» الوقائع من قبل النظرية، ويمكن اختصار المبدأ هكذا: «دعونا نجمع معطياتنا أولًا، ثم ننظمها لاحقًا!». هذه النزعات الإمبريقية تنسى أن ما يُعتقد أنه واقع خام قد سبق أن تم بناؤه وتأويله بصفة ضمنية من قبل الباحث والمبحوث. لا يجمع الباحث الوقائع كما يجمع أشياء مادية، بل ينطلق أساسًا من التأويلات التي يقدمها الناس. نفس الشيء بالنسبة للأرشيف الذي لا يمكن اختزاله في الوقائع أو البيانات التي يتضمنها، فقد تمت كتابته وفقًا لغرض ما، ومعجم معين ووجهة نظر محددة.

توضيح

لكي لا تظل مسألة العلاقة بين النظرية والمعطيات فكرة مجردة، اسمحوا لي أن أستقي مثالًا من تجربتي الميدانية في الأطلس الكبير (1982.1992). حاولت أن أفسر اختفاء شكل من أشكال المساعدات المتبادلة بين الفلاحين يسمى «تيويزي»، وتعني هذه الكلمة باللغة الأمازيغية «المساعدة»، وتُترجم إلى العربية بكلمة «التضامن». يمكن للمساعدة المتبادلة أن تكون على صعيد الجماعة بأكملها في حالة حدوث أضرار جسيمة حيث يتوجب على كل فرد ذكر بالغ (قادر على الصيام) المشاركة في العمل الجماعي كإصلاح قنوات الري بعد فيضانات. يمكن أن تهم أيضًا طرفًا من الجماعة، خاصةً بالنسبة للأعمال الزراعية التي تتجاوز قدرة القوى العاملة العائلية. تجمع بعض الأسر جهودها كي تحصد جماعيًا وبالتوالي كل حقولها.

أثناء وصف سيرورة اندثارتيويزي، فهمت بشكل أفضل ما تعنيه من الناحية النظرية مراعاة وجهة نظر الفاعل ومصالحه ودوافعه. أوضح لي الشباب أنهم يفضلون الهجرة للعمل (حصاد، قطف الزيتون) في جنوب المغرب كعمال عرضيين بدلاً من المشاركة في تيويزي، وهم لا يرون أي منفعة في مساعدة الجيران الذين سيفعلون نفس الشيء مع آبائهم، وقد قال أحدهم بوضوح:«ماذا أكسب، بصرف النظر عن الطعام المقدم لنا؟»''

كيف نفسر اندثار مؤسسة يكون لأرباب العائلات مصلحة مشتركة واضحة في الحفاظ عليها؟ لقد انطلقت من المبدأ الأساسي لسوسيولوجيا الفعل الذي يقضي بتفسير التغير الاجتماعي كنتيجة لمجموعة من الأفعال الفردية. كان التغير يتعلق أولًا بالسياق الاقتصادي حيث تم تدريجيًا استبدال العمل التطوعي وتبادل الخدمات بأشكال جديدة من العمل المدفوع الأجر، ولكن يجب التأكيد على أن الإصرار على التضامن يغفل العلاقات اللامتكافئة بين أرباب العائلات والأبناء الذين يقومون بالعمل، وفي خضم تغيُّر السياق الاقتصادي، والفرص المتاحة لبيع قوة عملهم بعيدًا عن القرية في كثير من الأحيان، بدأ غالبية الأبناء في رفض العمل المجاني. كان الشباب يؤاخذ الآباء على تجمعاتهم المرحة، تناولهم الطعام واحتسائهم كؤوس الشاي بينما هم يكدحون في الحقول. ما تم تقديمه دائمًا على أنه تضامن بدأ الشباب يؤوّله على أنه عمل شاق و«استغلال». هكذا لم أجمع وقائع خام بل وصفت أفعالًا اجتماعية ومعانيًا منسوبة إليها (مساعدة الجيران ، طاعة الأب، التخلي عن التضامن، العمل خارج استغلالية العائلة).«نفس الواقعة الخام»، تويزي، هي موضوع تأويلات متناقضة يمكن تلخيصها في مدح التضامن ورفض العمل المجاني. في الماضي القريب، كانت بنية العائلة تعتمد على خضوع الابن للسلطة الأبوية وبنية الجماعة على التضامن وتبادل الخدمات بين العائلات مستبعدين أي تبادل نقدي، ثم تميزت المحطة الموالية منذ السبعينات من القرن الماضي بالاستقلالية الممكنة للأبناء بعد انفتاح القرية على محيط اقتصادي أرحب، والتي يهيمن عليها تدريجيًا العمل المأجور. لقد أتاحت هذه الفرص الجديدة للشباب إمكانية تصور تويزي، المقدمة تقليديًا على أنها عمل تطوعي وتضامني، كعمل لا معنى له وغير مرغوب فيه.

من السهل التقاط وتكرار التفسيرات الكلية (Holism) التي تعتمد على وصف نحيل وتدرس الجماعة، مهملة الأفعال الفردية ومعانيها ودوافعها. كان من الممكن أن أفسر اندثارتيويزي من خلال سيرورات ماكروسوسيولوجية مثل الهجرة الريفية أو تسييل الاقتصاد الريفي، لكن هذا الصنف من التفسير الذي يربط واقعة ما بأخرى كلتاهما تقعان على صعيد ماكروسوسيولوجي؛ ما يزال غامضًا طالما أنه لا يصف كما بينت للتو كيف يؤثر تسييل الاقتصاد الريفي على الوضعية الاجتماعية للشباب، وكيف يجعل تبنّيهم لدوافع وأفعال جديدة وتخليهم عن سلوكات وقيم تقليدية ممكنًا[9].

✦ الانفتاح على المحيط الاجتماعي والسياسي

الوضعية الاجتماعية لأي باحث يدرس مجتمعه ملتبسة، فاختيار موضوع الدراسة كما هو الحال بالنسبة لكل فترات سيرورة البحث يتم في سياق أكاديمي واجتماعي وسياسي بمصالحه وقيمه المتضاربة. سيُنظر إلى موضوع دراسة ما كقيمة مشروعة أو كظاهرة منبوذة لا تستحق أي اهتمام أو خطيرة لن تجلب إلا المتاعب. في البلدان المغاربية التي كانت في طور البناء الوطني، كان البحث في الثقافات المحلية (القبيلة، الطرقية، الطقوس) مشبوهًا، غير مرغوب فيه، بل محظورًا في بعض الأحيان. اختيار هذا الموضوع أو ذاك هو بالفعل التزام، وقرار يمتزج فيه ما هوأكاديمي بما هو اجتماعي وسياسي.

اسمحوا لي أن أقتبس مقطعًا من درس ألقيته قبل أكثر من عشر سنوات:

«من البديهي أن يكرس الباحث وقته لقضايا وموضوعات تحظى لديه ولدى المجتمع (أو لدى شريحة منه) الذي يعيش فيه بقيمة معينة، وتتحكم علاقة الباحث بالقيم في اختياره لتلك الموضوعات... فأنا أعيش في مجتمع وأعي أن مرد اختياري لمعظم الموضوعات هو كوني باحثًا أنثروبولوجيًا، ولأنني أيضًا مغربي مقيم بالمغرب، مسلم وأمازيغي ومواطن

9) Rachik, Hassan , L'esprit du terrain, Etudes anthropologiques au Maroc, Centre Jacques-Berque, Rabat, 2016, p. 282-287.

وإنسان ...إلخ ، يجد نفسه مرتبطًا بنسق معين، وبمجتمع تتنازعه مجموعة من القيم؛ فأن أخصص دراسات لطقس القربان ولممارسات اشتهرت بكونها هامشية وبدعية وإلى بدو رحل يعيشون على هامش الهامش وإلى هويات جماعية ...إلخ، إنما هو اختيار يتم في إطار نسق تتنازعه مجموعة من القيم. بعض الباحثين قد يجد في المقابل هذا النوع من الدراسات تافهًا يخلو من أي فائدة وقيمة».

وفضلًا عن ذلك قد يكون باحث في حياته اليومية أو السياسية، وطنيًا أو قوميًا أو أمازيغيا... قد ينفر من كل ما يذكّره بالقبيلة، كما يمكن أن يكون متحمسًا يغمره الحنين إلى الفترة القبلية؛ قد يكون مع تدريس اللغة الأمازيغية أو ضده، قد يحظى لديه التعدد الثقافي بقيمة ما أو العكس...إلخ. إنني وأنا أدرس الهويات الجماعية، لا أسعى لإرضاء هذه الشريحة أو الإساءة إلى تلك،كما لا أزعم التزام موقف الحياد في علاقتي بكل هذه القضايا، ولكني أحاول أن أكون قدر الإمكان محايدًا بعد اختياري لموضوع دراستي، بعبارة أخرى إنني أتقبل قيمي في اختياري لموضوع الدراسة، إنني أثمن كل وضعية سياسية أو ثقافية حيث يمكن للأفراد أن يعبروا عن أفكارهم وهوياتهم بحرية...إلخ، ولا أحط من قيمة الممارسات الطقوسية «الشعبية». لكن بمجرد اختياري للموضوع أحاول أن أهدِّئ من روع هوياتي المختلفة رغم هشاشتها، بالاعتماد أساسًا على هويتي باعتباري أنثروبولوجيًا، ولكي أختصر، أدرك العلاقة بين هوياتي المختلفة في صورة حوار بيني كشخص (مجموعة من العلاقات الاجتماعية متصلة أو غير متصلة بالهويات الاجتماعية) وكباحث أنثربولوجي (وهو دور بين أدوار أخرى إلى جانب انشغالات تتصل بالانتساب الأكاديمي والعلمي والفلسفي). إن نتائج هذا الحوار غير مأمونة، لكنني أحرص عليه، وتمكنني تقاليد العلوم الاجتماعية، لاسيما الكتابة، من بنائه. وتشكل إعادة قراءة الباحث لإنتاجاته فرصة كبرى تسمح بخلق مسافة بين الأنا الكاتب و«الأنا القارئ» (ولهذا، وبفضل النصوص التي أصبحت موضوعًا خارجًا عن الذات، فإن الأمر يتعلق بحوار وليس بمونولوج داخلي).»[10]

10) رشيق، حسن. «دينامية الهويات الجماعية بالمغرب»، ترجمة حسن الطالب، سلسلة الدروس الإفتتاحية، الدرس الثالث والعشرون، كلية الآداب، أكادير، 2008، ص.3-4.

وفقًا للقيم التي تتقاسمها جماعة علمية، يمكن للباحث أن يقبع في مكتبه والتواصل فقط مع زملائه وربما طلابه (المنشورات والمؤتمرات) أو الانفتاح على محيطه الاجتماعي والسياسي. في هذه الحالة، نتحدث عن الالتزام أو المسؤولية الاجتماعية للباحث أو السوسيولوجيا العامة[11]. يمكن للخروج من الدوائر الأكاديمية أن يتخذ أشكالًا متعددة: تقديم نتائج بحث ما إلى جمهور واسع، المساهمة في نقاش عام، إلقاء محاضرة، التعبير عن آراء في وسائل الإعلام، وتختلف درجة وقوة هذا الانفتاح باختلاف قناعات الباحثين، ودرجة انفتاح النظام السياسي ووسائل الإعلام وديناميةالمجتمع المدني[12].

يميز ميشيل فوكو بين المثقف «الكوني» والمثقف «الخصوصي» (spécifique, universel). يقابل الخطاب العام للمثقف الكوني خطاب المثقف «الخصوصي» المبني على معرفة محددة ومتخصصة (السوسيولوجيا، الطب النفسي، علم السياسة) لمشاكل محددة. هكذا أصبح الأستاذ الجامعي منافسًا للكاتب، نموذج المثقف المهيمن حتى حدود الأربعينات من القرن الماضي[13]. لدينا إذن صنفان من الباحيثن: الأول يتولى دور المثقف «الخصوصي» من خلال تعبئة معرفته وتجربته للتأثير في المجتمع والسياسات العامة (الكفاح من أجل المساواة بين الجنسين، الديمقراطية، تكافؤ الفرص، المساواة بين اللغات). والثاني يلعب دور المثقف الكوني الذي يميل إلى التعبير عن آرائه واتخاذ مواقف في مجموعة واسعة من القضايا غريبة عن اهتماماته الأكاديمية.

---

11) Majed, Rima, The Presence of Social Science in Arab Civil Society Organizations, Background Paper, Arab Social Science Monitor, Arab Council for the Social Sciences, Beirut, 2015.

12) Rachik, Hassan, «La métaphore des casquettes: Neutralité et engagement du chercheur», in Kerrou, Mohmed, (dir.), Abdelkader Zghal, L'homme des questions, Cérès, Tunisie, 2017, p. 80-90.

13) Foucault, Michel, «La fonction politique de l'intellectuel», Foucault, M., in Dits et Ecrits, p. Paris, Gallimard, 1994, p. 109-114.

انخرطت الأجيال الأولى من السوسيولوجيين المغاربيين في القضايا التي تهم تخصصاتهم وكفائتهم مع تعبئة الأيديولوجيات والعواطف القومية أو الاشتراكية أو الشيوعية. كانت الأهداف علمية وفي نفس الوقت سياسية واقتصادية: كان من الضروري وصف البنيات الريفية قبل تغييرها، وكان من الضروري معرفة الفلاحين قبل الدفاع عنهم ومرافقتهم في عملية التنمية الريفية، كان أيضًا الدفاع عن القضية النسائية التزاما مدعومًا بدراسات في العلوم الاجتماعية[14]. هذا يثير مسألة موضوعية الباحث، وكما هو الحال لمعظم الأسئلة التي تثار في العلوم الاجتماعية، فنحن عادة أسرى لمعارضات ثنائية، أحيانًا قاتلة، إما الالتزام أو الحياد؛ إما ذاتية الباحث والمبحوث المؤدية إلى النسبية المطلقة وإلغاء كل واقع خارجي أو الموضوعية، بالمعنى الوضعي، التي تفصل بشكل صارم الموضوع عن الذات، ذات ينظر إليها كوسيلة شفافة تستخدم معجمًا محايدًا وتلاحظ معطيات خام، أي مجردة من الأفكار المسبقة للباحث والمبحوث، إمّا الغياب التام للباحث الموضوعاني والمحايد في النص، أو الحضور المبالغ فيه لـ«الأنا»، لصوت الباحث الما بعد حداثي، إلى جانب الأصوات المتعددة لمحاوريه[15].

أرى أنه من غير المجدي أن نختار باستمرار وجهة نظر على حساب أخرى، أن نعارض بصفة مطلقة الالتزام والحيادية، الموضوعية والذاتية. وظيفة المعارضات الثنائية، كوظيفة النظرية والنماذج المثالية، هي مساعدتنا على رسم الطريق بدلًا من أن تكون الطريق، فلا ينبغي أن يكون الباحث محايدًا أو ملتزمًا في المطلق، فهذه أدوار تابعة لمراحل البحث والسياق السياسي بشكل عام، لنذكُر مثلًا، أن الحياد القيمي ليس مطلوبًا، حتى من

14) رشيق، حسن. «الممارسة الأنثربولوجية بالمغرب»، في أبو بكر باقادرو حسن رشيق، الأنثربولوجيا في الوطن لعربي، بيروت، دار الفكر، 2011، ص. 128-141.
Rachik, Hassan et Rahma Bourquia. 2011. «La sociologie au Maroc.» SociologieS [En ligne]. Théories et recherches. Mis en ligne le 18 octobre 2011. Consulté le 03 avril 2016. http://sociologies.revues.org/3719.

15) Clifford, James and Marcus, George (ed.), Writing Culture the Poetics and Politics of Ethnography, University of California Press, 1986.

ماكس فيبر، عند اختيارنا لمواضيع البحث. لا أعتقد أننا حبيسو خيارين: مقاربة موضوعية أو ذاتية، علم خالص، طاهر ونقي، أو علم مدنس وملوث بالسياسة والأيديولوجيا، بل على العكس، أرى أن الباحث يمكنه أن يضطلع بالعديد من الأدوار التي لاتصبح متناقضة إلا حين يلعبها في نفس الآن، يمكن للباحث تقمص أدوار المثقف، الناشط، المواطن، لكن في سياقات مختلفة. لأن خلط الأدوار ينتج عنه ارتباك معجمي وأخلاقي، كأن نقول أشياء عادية في وسائل الإعلام أو في تجمعات سياسية باسم العلم، أو أن نستبعد من بحثنا ظواهر اجتماعية تتعارض مع قناعاتنا السياسية[16].

✦ تعزيز السوسيولوجيا التطبيقية

يمكن للباحث أن يلعب أيضًا دور الاستشاري وأن يشارك في بحوث إجرائية، فلا يمكن اختصار السوسيولوجيا (والعلوم بشكل عام) في معرفة مجردة تهم نخبة فكرية، ولا في معرفة مفيدة لصالح السلطة أو المجتمع أو فئة اجتماعية، أن يميز بين السوسيولوجيا المعرفية التي تجيب على أسئلة علمية والسوسيولوجيا الاستشارية أو التطبيقية التي تجيب على أسئلة عملية إجرائية (تحقيق التنمية البشرية، المساواة الاجتماعية، الاستقرار، نشر الابتكارات). وبهذا تكون السوسيولوجيا الاستشارية أكثر تقبلًا لأسئلة اللحظة، وأكثر نفاذًا للأيديولوجيات والعواطف السياسية، وهي تستجيب للطلبات الملحة المتزايدة للمعطيات الاجتماعية من قبل المنظمات العامة أو الخاصة، الوطنية أو الدولية. يمكن أن يكون هذا الطلب مباشرًا في شكل استشارة، ويمكن أن يكون غير مباشر. في كل الأحوال يحتاج الفاعلون السياسيون ونشطاء المجتمع المدني بشكل متزايد إلى بيانات إحصائية ودراسات كمية وكيفية لدعم مشاريعهم وأفعالهم وانتقاداتهم ودفوعاتهم. تميل السوسيولوجيا الاستشارية إلى الإعلام والإخبار والوصف بدلاً من التفسير، ويمكن اختزالها في رهانات مالية بحتة كما يمكن أن يكون لها هدف ملتزم ومقاربة نقدية للوضع الاجتماعي والسياسي، وهذا هو حال الباحثين الذين يلفتون الانتباه إلى ظواهر اجتماعية مثل عمل

16) Rachik, Hassan, «La métaphore des casquettes», 2017, p. 80-90.

الأطفال الشاق، العنف ضد المرأة، الهدر المدرسي، الأمهات العازبات، تفشي الفساد، توسع الفوارق الطبقية.

يختلف دور الاستشاري بشكل واضح عن دور الباحث[17]، يجب على الاستشاري أن يسعى إلى تحقيق مصالح عملية، مقتصرًا على وصف موجز وحد أدنى من التفسير متقيدا بعدد قليل من الأسئلة الإجرائية، بينما يجب على الباحث تقديم وصف أو تفسير أو تأويل ممنهج ومؤسس له نظريًا، والخوض في مجال واسع في السوسيولوجيا أو العلوم الاجتماعية. من حيث المبدأ، الدوران متكاملان. الباحث الذي يجب أن تكون له خلفية نظرية وثقافية وتاريخية واسعة والخبير الاستشاري الذي يتقن بالتفصيل ظاهرة معينة. قد يُطلب من سوسيولوجي يدرس البنيات الاجتماعية الريفية تقديم استشارة بشأن إنشاء تعاونيات زراعية. مقارنة بخبير متخصص في التعاونيات أو المنظمات الريفية؛ فإن معرفته التقنية والقانونية محدودة، وعلى العكس من ذلك، فإن الخبير يفتقر إلى توجهات نظرية بشأن البنيات الاجتماعية، المورفولوجيا الاجتماعية، والسلطة المحلية، والزعامة، والتراتب الاجتماعي، وتاريخ البنيات التقليدية.

تجدر الإشارة أيضًا إلى أن الاستشارة تتم في سياق مختلف عن سياق البحث، ونعني بالسياق منظومة من الموارد والإكراهات. تتعلق الموارد الأساسية بتمويل الدراسات والمسوحات، والتسهيلات الإدارية، والأجر المغري. توجد أيضًا إكراهات تؤثر على محتوى هذه الدراسات والمسوحات. مقارنة بالباحث، يلتزم الاستشاري بمعالجة قضايا لم يخترها وتقديم حلول عملية (توصيات) في وقت قصير جدًا مع استخدام التقنيات الخفيفة المناسبة مثل استطلاعات الرأي، زيارة الميدان والمقابلات الجماعية، أضف إلى هذا أنه يتم تحديد أهداف الدراسة من قبل صانع القرار، ولا يمكن للمستشار أن يقرر في أحسن الأحوال إلا في الوسائل. هناك أيضًا أسلوب التقرير الاستشاري الذي يجب أن يكون بسيطًا

17) Robert King. Social theory and social structure. Glencoe, Ill.: Free Press, New York, The Free Press, 1968 [1957], p. 261-278.

وموجزًا ومتوافقًا مع المعجم والمعايير المشتركة من قبل جماعة ما من الاستشاريين (الهشاشة، الإقصاء، الحكامة، الشفافية، المقاربة التشاركية، التمكين، الممارسات الفضلى).

يُتوقع من السوسيولوجي الذي يقوم بدور الاستشاري الالتزام بقواعد معينة والتفاوض على أخرى، إنه مدعو لترجمة طلب الممول إلى لغة سوسيولوجية مبسطة، فلا تهم النظرية الممول، ولكن بالنسبة للباحث الاستشاري؛ فإنها شعلته المرشدة التي يقوم بتعبئتها ضمنيًا وسريًا، وأعتقد أنه لا فائدة من أن نتجاهل الخلفيات النظرية تحت ذريعة أن الدراسة تطبيقية، فهي ضرورية ومفيدة لكل عمل إجرائي، إذ كيف نتحدث عن المقاربة التشاركية دون أن يكون لدى الاستشاري فكرة بسيطة عن منطق الفعل الجماعي، نظرية الزعامة؟ كيف نتحدث عن الإقصاء دون الاعتماد على النظريات الاجتماعية للإقصاء، ونظريات الرابط الاجتماعي؟ كيف نشتغل على الابتكار التقني في المناطق الريفية دون تعبئة نظريات التغير الاجتماعي وسوسيولوجيا نشر الابتكار؟

من المعروف أن نشاط المنظمات الوطنية والدولية في المجال المدني والسياسي قد ساهم في تنامي سوق البحوث الاستشارية. هذه فرصة للباحث لتقدير البعد العملي لمعرفته النظرية، وفرصة لجعله مفيدًا اجتماعيًا. أعتقد أن للسوسيولوجين دور في تعزيز السوسيولوجيا التطبيقية؛ لكني أعتبر أن من واجبهم الاحتفاظ باستمرار بقبعة الباحث تحت قبعة الاستشاري، وهذا نابع من مسؤولية أكاديمية وأخلاقية وسياسية، بدون هذا، يمكن للاستشاري قبول كل شيء وتبرير كل شيء وإضفاء الشرعية على كل شيء، فللأسف، هناك احتمال كبير لإغراء المال، وانمحاء دور الباحث لصالح دور الاستشاري،

خاصة في البلدان التي تدهورت فيها الحالة المادية للباحثين[18].

✦ إما أن يكون البحث متعدد اللغات أو لا يكون

بعيدًا عن كيل الثناء أو النقد المجانيين لتعريب العلوم الاجتماعية؛ ينبغي دراسة آثاره الحالية والمحتملة على البحث وتدريس هذه العلوم. أشد الآثار يتمثل في عزلتها، وفي رضى الباحث في التعامل مع قضايا محلية بلغة محلية، وسأكرر هذا، لا يفهمها إلا باحثون محليون. في عالم تسوده العولمة، والتهميش المتزايد «للّغات المحيطية» (البعيدة عن المركز)، فإن الترياق الأنجع لاستخدام اللغة العربية بشكل أفضل في العلوم الاجتماعية هو محاربة أي عزلة لغوية. نظرة على مراجع الباحثين كافية لتقدير الدرجة الأدنى من الانفتاح اللغوي (قراءة، تحدثًا وكتابة)[19].

إذا تعلم الجميع العلوم الاجتماعية باللغة العربية، فمن سيترجمها إلى العربية؟ هناك

---

18) "A glance at the profiles of the consultants conducting policy research for state and international organizations reveals that around three-quarters have never published in academic journals or books. There are no traces of fieldwork and most of the outputs recycles the work of others knowledge. these consultants seem to be lacking consistent reflexivity". (Sari Hanafi and Rigas Arvanitis, Knowledge production in the Arab world, London, Routledge, 2016, p. 220.)

انظر ايضا:

El-Kenz, Ali, «Les sciences sociales dans les pays arabes,» ESTIME (6 Juin 2005),

19) غالبية الكتب (59٪) في السوسيولوجيا في المغارب تنشر باللغة العربية (2142 من أصل 3614 كتابًا). وقد تم تخفيض هذه القائمة الأولية المنشأة وفق مفهوم واسع للسوسيولوجيا إلى 757 كتابًا منها 419 للمغرب و174 لتونس و164 للجزائر. وتبعا للدراسة ذاتها، فإن نسبة المراجع الببليوغرافية باللغة العربية تتراوح بين 68٪ في الجزائر و38٪ في المغرب و34٪ في تونس. فيما يتعلق بالمراجع بالفرنسية، سجلت تونس والمغرب 48٪ والجزائر 22٪. ومازالت المراجع باللغة الإنجليزية ضعيفة خصوصا في الجزائر (2%) مقارنة بتونس (13٪) والمغرب (10٪). (أيت منصور،مراجعة للكتابات السوسيولوجيّة باللغة العربيّة في الدول المغاربيّة بين 2000 و2016، 2017.،ص.5، 27،26).

ضرورة ملحة لإجراء تفكير منتظم في ترجمة الكتب الأساسية في العلوم الاجتماعية إلى اللغة العربية، ولسوء الحظ؛ فإن السوق مليء بترجمات متسرعة. إن ترجمة "anomie" (فقدان المعايير) بالارتباك و"fait social" بالحقيقة الإجتماعية، واللائحة طويلة، يجب أن يدفعنا إلى تخيل ما يفتقده القارئ العربي حين يقتصر على لغته[20].

يبدو أن الباحثين أكثر واقعية، فقد كشفت دراسة حديثة (87 باحثًا عربيًا و987 منشورا) أن 67٪ من الباحثين أكملوا دراساتهم باللغة العربية، وكلما تقدموا في الدراسة كلما انخفضت نسبة استعمالهم لها (52٪ لدرجة الماجستير و32٪ للدراسات الدكتورالية)، على العكس ترتفع نسبة استعمال اللغة الإنجليزية، حيث تراوحت وفقًا للمستويات الثلاثة، من 15٪ إلى 29٪ ثم 52٪، وتراوحت اللغة الفرنسية بنسبة أقل، بين 15٪ و13٪ (الماجستيرو الدكتوراه). بالنسبة لنفس العينة، تعرف لغة النشر تحولًا لصالح اللغة العربية (54٪) مقارنة باللغة الإنجليزية (37٪) والفرنسية (9٪).أما بالنسبة للذين ينشرون بأكثر من لغة (40٪ من العينة)، فقد احتلت اللغة العربية المرتبة الأولى (55٪) فالإنجليزية (27٪) ثم الفرنسية (18٪)، دليل آخر على براغماتية جماعات من الباحثين يكمن في اختيارهم نشر مجلاتهم بلغتين (إنسانيات في الجزائر) أو أكثر (هيسبريس تمودا في المغرب).

تعد التعددية اللغوية إحدى أسس البحث الجيد، فإما أن يكون البحث متعدد اللغات أو لا يكون، ويمكن أن تختلف نسب اللغات من دراسة إلى أخرى، لكن الأهم أن يكون لدى الباحث القدرة على الكتابة والقراءة بثلاث لغات على الأقل. نحن مجبرون على تجنب

20) «... تم تطبيع السوسيولوجيا التي دُرست والأعمال الميدانية المنجزة باللغة العربية منذ سنة 1984 إلى أيامنا هذه بخطابات وتنظيرات تقريبية ومشوهة أنتجت من قبل المترجمين والمؤولين المصريين بينما استلهمت الأعمال التي أنتجت باللغة الفرنسية من الإطارين المفاهيمي والنظري المستمد من التقليد الفرنكفوني . الجزائري. يوازي هذا التمييز المبالغ فيه تشكل عالمين أكاديميين متوازيين : عالم ذوتقليد فرنكفوني متصل بالشبكات المغاربية والفرنسية وعالم محلي ومنغلق». (الزبير، عروس، «مدخل في الممارسة السوسيولوجية وواقعها : المدرسة الجزائرية نموذجا». في حنفي، وبنغبريط . رمعون ومجاهد، 2014 مستقبل العلوم الاجتماعية في الوطن العربي، .ص. 179-180.انظر ايضا حنفي،ساري، «الإفتتاح المعرفي الإجتماعي الفلسطيني: التمويل والمحددات الوطنية»، في حنفي، وبنغبريط . رمعون، ومجاهد. مستقبل العلوم الاجتماعية في الوطن العربي،2014، ص. 250-252).

العزلة اللغوية في التعليم والبحث، وطرح سؤال اللغة في العلوم الاجتماعية دفاعًا عن الهوية يهمش في غالب الأحيان أسئلة جوهرية ذات صلة وثيقة بالبعد النظري والإمبريقي لإنتاج معرفة سوسيولوجية، وتعد القراءة والتعلم والتدريس والنشر بلغات متعددة ضرورة فكرية، قبل أن تكون خيارًا عمليًا للتواصل مع أكبر عدد ممكن من الزملاء والوصول إلى أكبر عدد ممكن من الكتب والأرشيفات والنشر في أرقى المجلات، ولا يمكن اختزال اللغة في هذا النوع من الوظائف، فهناك العديد من الأسئلة التي ينبغي طرحها حول اللغة، وبالتحديد الكتابة كوسيلة للحفاظ على المعلومات، للوصف، وللتفكير، ومن بين الأسئلة المطروحة معرفة ما إذا كان يمكن للباحث وصف ثقافة معينة بلغة أجنبية، وهي مسألة تثار عمومًا في الأنثربولوجيا، وقد يتساءل السوسيولوجي العربي أيضًا عن إمكانية وصف «واقع مجتمعه» بلغة أجنبية؟ هنا أيضًا، أتجنب التبسيط الذي يؤدي إلى وجهات نظر متطرفة. بالنسبة للبعض، المعادلة سهلة: العين العربية فقط هي التي يمكن أن تدرس الواقع العربي من خلال اللغة العربية، وهو ما أنتقده بشدة، إذ لا يمكن اعتبار القرب من واقع ولغة ما ضمانًا أو شرطًا للمعرفة الحقيقية، فأُلفة الباحث تعد في الوقت نفسه موردًا يُسهل الولوج إلى ثقافة مجتمعه، وحجابًا قد يخفي جوانب ثقافية تبدو بديهية[21].

يُفترض أن للظواهر قيد البحث هوية عربية وأن اللغة العربية التي تصفها واحدة، هوية يحددها بعض الباحثين والمفكرين بشكل مطلق، وأعتقد أن علينا أن نتجاوز هذه الرؤية الموحدة وأن نركز على الاستعملات المختلفة للّغة العربية كالأساليب التي تسمح بها أو نبتدعها [22]. ليست اللغة واقعًا خارجًا تمامًا عن الباحث ما عدا إذا رغب في ذلك، وهي لا تُفرض عليه لأن الخيارات مختلفة. قد نرغب في أن نكون موضوعيين، وأن نستخدم

21) رشيق، حسن. القريب والبعيد، 2018. ص. 32-34.

22) محسن بوعزيزي. السؤال اللساني: اللغة والكتابة في العلوم السوسيولوجية، في حنفي، وبنغريط ـ رمعون ومجاهد. مستقبل العلوم الاجتماعية في الوطن العربي. 2014، ص. 355-396.

أسلوبًا واقعيًا، رصينًا، عقلانيًا، مفرغًا من أي بعد عاطفي، متجنبين الاستعارات[23]. كما يمكننا، على العكس من ذلك، أن نهدف إلى أسلوب يسعى إلى دغدغة العواطف أكثر من الإقناع، ويسهل العثور على هذين الأسلوبين وغيرهما في لغات مختلفة، بما في ذلك اللغة العربية، وفي هذه الحالة يكون محل التساؤل هو الأسلوب أكثر من اللغة في حد ذاتها. ماذا سيفضل القارئ(ة)؟ باحث (وليس شاعر) يكتب نصًا رومانسيًا عن الخيمة والبدو والأطلال أو باحث يصف بالتفصيل الخيمة في مجتمع بدوي معين، عناصرها، وأسماءها، وطريقة صنعها، والطقوس المواكبة لها، وصعوبات العيش تحتها، والتقسيم الجنسي للفضاء الداخلي لها[24]، وليس المراد هنا استبعاد تأثير لغة بتاريخها العريق على طريقة تفكيرنا وكتاباتنا، ولكن يمكن التحكم في أشياء كثيرة: أن نتحدث لغة عوض أن تتحدثنا، وأن لا نتركها تكتب مكاننا (عادات الإنشاء، الإطناب، الحشو، التعبيرات الجاهزة).

من ناحية أخرى، كان يمكن أن تكون الأمور أقل تعقيدًا لو كان جميع سكان العالم العربي يتحدثون اللغة العربية والعربية فقط، لكن هناك لهجات قريبة بشكل أو بآخر من اللغة العربية وهناك لغات غير عربية (الأمازيغية، الكردية). يجب أن نصر على التعددية اللغوية لأن طمسها يعد بترًا لوسيلة اتصال يومية يعبر الناس من خلالها عن تمثلاهم وهوياتهم وقيمهم وأفراحهم وسخريتهم ونزاعاتهم ومعاناتهم[25]، وهذا يقودنا إلى التفكير في ما يمكن تسميته بالترجمة الداخلية (داخل نفس المجتمع) والتي تخص تحديدًا المعرفة المشتركة. إن السمة الأساسية التي تميز هذا الصنف من المعرفة عن باقي المنظومات الثقافية

23) درس غيرتز اساليب انثروبولوجيين بارزين: كلود ليفي شتراوس، مالينوفسكي، إيفانز بريتشارد، روث بنديكت. انظر:

Geertz, Clifford, Works and Lives, The Anthroplogist as Author, Stanford, California, Stanford University Press, 1988

24) أبو بكر باقادر، الدراسات الأنثربولوجية والعالم العربي، في أبو بكر باقادرو حسن رشيق، الأنثربولوجيا في الوطن العربي، بيروت، دار الفكر،2012، ص. 69-72.

25) رشيق، حسن. «الممارسة الأنثربولوجية بالمغرب»، في أبو بكر باقادرو حسن رشيق، الأنثربولوجيا في الوطن العربي، بيروت، دار الفكر، 2011، ص. 259-263.

كالأيديولوجيا وكالثقافة السامية أو العالمة كونها سهلة الولوج بالنسبة لأغلبية أعضاء جماعة ما، وهي معرفة يتعلمها الفرد بطريقة غير ممنهجة كما يتعلم لغته الأم، وذلك عن طريق التنشئة الاجتماعية، وليس هناك متخصصون أو خبراء للمعرفة المشتركة، بالرغم من وجود تفاوت بين الناس بين من يتمكن من الأمثال الشعبية مثلًا والآخرين، وكي تكون المعرفة المشتركة سهلة الولوج يجب أن تكون بسيطة واضحة، وتتجلى قوتها في تقديم الظواهر الاجتماعية كعالم مألوف بديهي وطبيعي، وتعتبر من المنظومات الأكثر براغماتية حيث توفر تأويلات وتفسيرات للعالم والمجتمع تستهدف في المقام الأول الفعل الاجتماعي بمعنى أنها تساعد الناس في توجيه أفعالهم الاجتماعية في حياتهم اليومية، ولذلك ليس لها مضمون محدد، فقد تكون ذات صلة بالسياسة، بالدين، بالاقتصاد، بالصحة، بالزواج، بالغذاء، بالتربية، إلخ[26].

كيف نترجم مثلا كلمة «حقرا» المستعملة كثيرا في الجزائر والمغرب؟ لا يكفي استبدالها بكلمة «احتقار» التي تشترك معها في نفس الجذر، إذ علينا الإنصات للأشخاص المعنيين وترجمة كلماتهم من خلال وصف معانيها، استعمالاتها وسياقاتها. هكذا تظل مسألة الترجمة الداخلية مطروحة حتى عندما ننشر باللغة العربية، وأخذ وجهة نظر الفاعل في الاعتبار مبدأ نظري ومنهجي يتجاوز استخدام لغة ما، وهو أيضًا مبدأ أخلاقي لأنه ينم عن احترام لغة المدروسين، ولو كانت «عامية» أو«دارجة» قريبة من العربية.

✦ تحقيق توازن بين البحوث الفردية والبحوث الجماعية

عند تحليل شروط الإنتاج السوسيولوجي يجب أن نأخذ في الاعتبار أن الجامعات العربية حديثة العهد، وأن الغالبية العظمى (597 من 614 أي 97٪) تم إنشاؤها بعد عام 1950 و70٪ بعد 1991، وتجدر الإشارة أيضًا إلى أن العلوم الاجتماعية موجودة فيما يقرب من نصف (48٪) الجامعات، وبصفة متفاوتة: يأتي في المرتبة الأولى الاقتصاد

26) رشيق، حسن ،المعرفة المشتركة في حياة الناس اليومية، اللباس والتدين. عمران للعلوم الاجتماعية والانسانية، العدد 2، 2012،ص. 86.

الذي يدرّس في 205 كلية، تليه السوسيولوجيا التي تدرّس في 153 كلية ، ثم علم النفس والعلوم السياسية والتاريخ (على التوالي في 151، 140 و124 كلية) ، وتغلق الأنثروبولوجيا–كما هو متوقع– القائمة بنسبة 2٪[27]. البنيات البحثية حديثة العهد إذن في معظم الدول العربية، ونحن نصر على البعد البنيوي للبحث لأنه كيفما كانت المقترحات المتعلقة بالأولويات؛ فإن مناقشتها وتحقيقها لن تكون فعالة إلا إذا تمت جماعيًا وضمن بنيات بحثية قارة، نحن بصدد أجندة جماعية تشرك وتلزم السوسيولوجين العرب كأفراد وجماعات علمية (مراكز بحثية، معاهد، مختبرات وجمعيات مهنية).

لدينا عدة محتويات لمفهوم الجماعة العلمية وفقًا لدرجة تنظيم البحث والتفاعل بين الباحثين على المستوى الوطني، أو الإقليمي، أو الدول، ويمكن أن يشير إلى مجموعة من الباحثين لا يعرفون بعضهم بعضًا شخصيًا، ولا يلتقون (جسديًا)، ولكنهم يحترمون التوجهات النظرية المشتركة ويمارسون تأثيرًا أو تحكمًا على بعضهم البعض، وفي هذه الحالة نتحدث أيضًا عن جماعة غير مرئية، إذ من المفيد أن تكون لدينا فكرة عن هذا الصنف من الجماعات على صعيد البلدان العربية أو مناطقها (المغارب، دول الخليج، الشرق الأوسط) وأن ندرس، على سبيل المثال، كيف يتم نقل أفكار بعض الباحثين ونشرها وانتقاداتها من قبل الآخرين، وكيف تتقاطع حدود هذه «الجماعات غير مرئية» مع انتماءات و«تواطآت» نظرية، أيديولوجية أو لغوية، وغني عن القول أنه من الصعب تحديد ووصف هذا النوع من الجماعات ذات المعالم الغامضة، لذا يجب البدء بوصف الجماعات الصغيرة المنظمة حول مشروع (مجلة، جمعية، مركز بحثي)، إعطاء مفهوم الجماعة العلمية محتوى أضيق بإشراك الباحثين فقط الذين يتقاسمون نفس التخصص (الجمعية العربية لعلم الاجتماع)، أو داخل هذا التخصص الباحثين الذين يتقاسمون معجمًا، إشكاليات، توجهات نظرية، مناهجًا، قيمًا، أو مشروعًا أيديولوجيا، حيث يمكن لهؤلاء الباحثين معرفة بعضهم البعض أكثر أو

27) بامية، محمد. العلوم الاجتماعية في العالم العربي ،أشكال الحضور.، 2015، ص. 13-15.

أقل، أن يجتمعوا بشكل دوري، وأن يتم تنظيمهم في إطار مُؤسسي. [28]

يمكن أن نتحدث أيضًا عن الحقل العلمي، حيث يقترح بورديو دراسة نشاط الباحثين بدءًا من مفهوم الحقل العلمي، أي منظومة العلاقات بين المنتجين الفكريين التي تحدد خصائصهم ومواقفهم داخل هذه المنظومة، وهو يستبعد دراسة أعمال باحثين بصفة معزولة: «الأفضل معرفة القليل عن الكثير من الباحثين المتصلين بشكل منظم، بدلًا من معرفة كل شيء عن شخص واحد.» هكذا وجبت دراسة الباحثين عبر وصف علاقاتهم مع الآخرين، فالحقل العلمي مجال للمنافسة، للصراعات والتحالفات حول رهانات أكاديمية، رمزية ومادية (سلطة، شهرة، امتيازات، مناصب)[29].

دعوني أعطي مثالًا عن جماعة بحثية أسست حول قضايا نظرية وقيم مشتركة. منذ الثمانينات من القرن الماضي، تضاعفت المنشورات والندوات المتعلقة بالمرأة في المغرب، وقد تيسر ذلك من خلال العدد المتزايد من الباحثات، والاهتمام والدعم الماليين من منظمات دولية، لقد ظهر شكل جديد للحقل العلمي السوسيولوجي: فاعلات جدد بقيم وقضايا، وتصورات جديدة للعلاقة بين البحث والالتزام، ونجد غالبية الدراسات «النسائية» كانت منشغلة بتغيير وضع المرأة، وكان يراد للمقاربات أن تكون في نفس الوقت أكاديمية ونقدية، ومن المبادرات المبكرة في هذا المضمار، إنشاء فاطمة المرنيسي (1940-2015)، سنة 1981، لجماعة تضم حوالي عشرين باحثة وباحث من تخصصات مختلفة حول الأسرة والمرأة والطفل، وقد تم نشر تسعة كتب جماعية بين عامي 1987 و1999 عند نفس دار النشر.

---

28) بالنسبة للجماعة غير المرئية ، (Invisible college)
انظر:
Cherkaoui, Mohamed. Crise de l'université. Paris, Librairie Droz, 2011, p. 89-108

29) يشير حنفي وارفانيتيس إلى تجزئة أنشطة الباحثين .فغالباً ما تنتج الجامعات نخباً مجزَّأة داخل كل دولة قومية، بحيث لا تتواصل بعضها مع بعض. هناك مجموعة تنشر عالمياً لكنها تندثرمحليا أو تنشرمحليا متخلية عن كل إشعاع إقليمي أو دولي.
Hanafi, Sari and Arvanitis, Rigas. Knowledge Production in The Arab World, London: Routledge, 2016. p 249-253.

كشفت دراسة في المغرب (2004-2005) همت باحثين في العلوم الاجتماعية أن نصف المجيبين (1640) ينتمون إلى مجموعة بحثية واحدة على الأقل، و35٪ لديهم علاقات مع مجموعات بحثية أجنبية[30]، ولقد تكاثرت المراكز البحثية خلال العقود الثلاثة الماضية، ففي عام 2015 تم إحصاء 436 مركزًا بحثيًا في العالم العربي، منها 45٪ جامعية و24٪ مستقلة وغير ربحية و12٪ حكومية، وتحتل الجزائر المرتبة الأولى بـ 76 مركزًا، تليها مصر بـ 70 مركزًا، ويوجد في هذين البلدين 57٪ من المراكز الموجودة في العالم العربي، وبناءً على التخصص نجد أن هناك 31 مركزًا للسوسيولوجيا، ومقارنة مع التخصصات الأخرى نلاحظ تواضع هذا العدد، حيث تشمل الدراسات الثقافية 38 مركزًا، والتاريخ 43، والدراسات التنموية 52، وعلم الاقتصاد 68، والعلوم السياسية التي تستحوذ على حصة الأسد 120 مركزًا.[31]

تعد المراكز البحثية فرصة لتطوير السوسيولوجيا والعلوم الاجتماعية، ولتوظيف الباحثين الشباب لممارسة مهنة السوسيولوجي، ومع ذلك فإن العدد مقياس غير كاف، ويجب أن يقترن بمدى تأثيره على النشاط والإنتاج العلمي. فالبيروقراطية في مجال البحث ليست دائمًا علامة على حيويته، إذ على الرغم من التكاثر النسبي للمراكز البحثية؛ تشير بعض الدراسات إلى ضعف إنتاجاتها ومأسستها.

مقارنة بالعلوم الأخرى مثل الكيمياء وعلم الآثار حيث يُفضل العمل الجماعي الذي يفرضه المنطق الجماعي للبحث (الحاجة إلى التمويل، وتجميع الموارد المادية والتقنية، واتحاد فرق البحث)، وقد يبدو أنه من الممكن إجراء البحوث في العلوم الاجتماعية فرديًا، وهذا قد يكون صحيحًا بالنسبة لأبحاث كتبية أو مكتبية، غير أن تاريخ العلوم الاجتماعية مليء بالبحوث المهمة التي تجاوزت قدرة الفرد والتي لا يمكن تحقيقها إلا بواسطة جماعة من الباحثين. فيما يتعلق بالبحوث في العلوم الاجتماعية في الدول العربية، من المعروف أن ما

30) Cherkaoui, Crise de l'Université , 2011, p. 90- 92.

31) بامية، محمد. العلوم الاجتماعية في العالم العربي ،أشكال الحضور، 2015، ص. 26-28

يهيمن هو الباحث المنعزل الذي يندمج في أفضل الحالات لفترة قصيرة في جماعة ما، وهذه هي القاعدة، أما الباحث المندمج في بنية بحثية بصفة دائمة ولفترة طويلة فيظل استثناء[32].

يسود التوقيع الفردي للمنشورات، مقالات وكتب. والهدف من هذه الملاحظة ليس على الإطلاق مواجهة المنطق الفردي الذي يميز أبحاث العلوم الاجتماعية، ولكن ثمة دوافع للدعوة لتحقيق توازن ما لصالح البحث الجماعي والمؤسسي: أولا، هناك مشاريع بحثية تتجاوز قدرة الفرد ولا يمكن تنفيذها إلا من قبل مجموعة من الباحثين، الدافع الثاني يكمن في وجود أجندة علمية يجب تحديدها جماعيًا، فقد تهمل أو تتجاهل الاستراتيجيات الفردية إشكاليات، أو مواضيع اجتماعية وسياسية حيوية، لذلك فإنّ وضع أجندة جماعية قد يساعد على تصحيح الفجوات والإغفالات التي تحيق بهذه الاستراتيجيات الفردية، ولا شكّ أن هناك مزايا جانبية للعمل كفريق: تبادل الأفكار والخبرات، ومناقشة المعجم والمفاهيم والنظريات.

دعوني مرة أخرى أسوق بعض الأمثلة، هناك ثلاثة مجالات متميزة في البلدان المغاربية: سوسيولوجيا الثقافة (124 كتابًا)، والسوسيولوجيا السياسية (123 كتابًا)، والمداخل لنظريات ومناهج السوسيولوجيا (96 كتابًا)، سوسيولوجيا التنمية، وسوسيولوجيا الأسرة (67 و65 كتابًا على التوالي)، وهناك تخصصات تسجل أقل من20 كتابًا كالسوسيولوجيا الحضرية، وسوسيولوجيا التعليم، والسوسيولوجيا الريفية، أمّا في مصر، فخمسة تخصصات فرعية هي الأكثر شيوعًا: سوسيولوجيا الثقافة، والأنثروبولوجيا الثقافية، وسوسيولوجيا التنمية، والسوسيولوجيا الجنائية، والسوسيولوجيا السياسية، ويلاحظ عدم الاهتمام بسكان الريف وغياب دراسات عن الأقليات (الأقباط، والبدو، والجماعات الأمازيغية) [33].

---

32) حنفي، وبنغبريط . رمعون، ومجاهد، 2014، ص. 33-39
Cherkaoui, Crise de l'université, 2011, p. 89-108

33) المصري، سعيد. الإنتاج العربي لعلم الاجتماع في مصر. دراسة لعينة من الكتب المنشورة من 2000 إلى 2016، ورقة خلفية، المرصد العربي للعلوم الاجتماعية، المجلس العربي للعلوم الاجتماعية. بيروت، 2017. ص. 6-7، 17.

هذا النوع من التشخيص– الذي يجب صقله– يسمح للباحثين–خصوصًا المندمجين في مؤسسات بحثية– بتصحيح المسار لصالح تخصص ما (سوسيولوجيا الشغل مثلا) أو فئة، أوجماعة اجتماعية (النساء المهاجرات، الأقليات). إنها مسألة توازن بين مختلف القضايا الأكاديمية والعامة التي يرجع طرحها للباحثين كجماعة علمية، وهي تنبع من المسؤولية الأكاديمية والاجتماعية للباحث، وما تزال الشروط البنيوية هشة، وستبقى مأسسة البحث غير مثمرة طالما أن الاستراتيجيات الفردية أكثر نجاعة من المشاركة في فعل جماعي، وانطلاقا من تجربتي، أعترف أن المؤسسة كانت غالبًا إكراها يعطل أبحاثي، وأقر أن نجاح فعل جماعي ينبغي أن يكون فيه للباحثين مصلحة فكرية أو رمزية أو مادية، جزاءات أو حوافز انتقائية[34]، إذ ينبغي أن يكون الإطار المؤسسي موردًا للأبحاث الفردية والجماعية.

تتطلب مأسسة البحث مهارات إدارية وتدبيرية جيدة بالإضافة إلى الكفاءات البحثية، وهي تفترض نوعًا جديدًا من الأكاديمين، ما يسميه لازارسفيلد «بالباحث الإداري» الذي يجيد ربط العلاقات مع المحيط الاقتصادي والسياسي للجامعة والذي يُمكّنه من تمويل البحوث الجماعية[35]، ولكن في هذه الحالة أيضًا، من المحتمل جدًا حدوث انحرافات ناتجة عن مزج البحث بالمال، خاصة في البلدان التي تكون فيها الوضعية الاجتماعية للباحثين هشة، نعم لتطوير المأسسة، ولكن بدون تسرع وبحذر شديد، نعم لتطوير المأسسة، ولكن الأهم هو إنتاج قدر معقول من الأبحاث خصوصًا تلك التي تتجاوز قدرة الباحث الفرد.

✦ ما العمل؟

نحن ندرك أن الباحث(ة) الذي نتحدث عنه هو شخص من دم ولحم، شخص يواجه

34) لدراسة منطق الفعل الجماعي، انظررشيق، حسن. سيدي شمهروش. الطقوسي والسياسي في الأطلس الكبير، ترجمة مصطفى النحال وعبد المجيد جحفة، دار أفريقيا الشرق الأوسط، 2010، ص. 117-80

35) بالنسبة لمفهوم، managerial scholar انظر،
Boudon, Raymond, Introduction, in Lazarsfeld, Paul. Philosophie des sciences sociales, Paris: Gallimard, 1970, p. 26-29.

إكراهات مهنية ومالية وسياسية، والحديث عن الأولويات دون مراعاة هذه الإكراهات والظروف القاسية لغالبية الباحثين يظل ناقصًا، لدينا إفادات عن تدهور عدة جامعات، مما تسبب في فرار الكثير من الباحثين من بلدانهم أو الانتقال إلى قطاعات أخرى، وعلى الرغم من هذه الصعوبات، من الضروري تشجيع وتدعيم مهنة الباحث، الفاعل المركزي الذي يضمن دينامية المؤسسات والجماعات العلمية، فالسوسيولوجيا مهنة، وممارستها تخضع للحد الأدنى من القواعد المشتركة. وهذا لا يتنافى مع حرية الباحث. إن أسوأ الظروف بالنسبة للباحث، وخاصة الشباب منهم، هي الإنتاج في عزلة تامة، بعيدًا عن المؤسسات والجماعات العلمية، ففي ظروف كهذه؛ يصبح خرق القواعد الأخلاقية والعلمية جد متاح.

أتذكر برنامجًا حواريًا تلفزيونيًا (أمريكيًا) حول الجوار، كان الخبير الضيف يجيب على أسئلة المتصلين عبر الهاتف، بدأ أحدهم بالقول إن مدينته وحيه يفتقران إلى هذا وذاك، وكانت القائمة طويلة، بعد فترة من الوقت، قاطعه الخبير وطلب منه أن يقول ما هو متوفر وليكن نقطة انطلاق الحوار. تلعثم المتحدث، وبدا أنه لم يكن يتوقع السؤال. بالنسبة لنا أيضًا كباحثين؛ لا حصر للإكراهات وللصعوبات، بعضها يخص المجال الأكاديمي الضيّق، والبعض الآخر يشمل المجتمع بأسره، النظام السياسي (السياسة التعليمية، حرية التعبير، دعم البحث)، الاقتصاد (النشر، توزيع الكتب)، الإدارة (توفر المعلومات والإحصائيات)، الجانب الفكري (ضعف النخبة المستنيرة، غلبة الفكر الماضوي).

على أمل تغيير بنيوي على هذه المستويات المختلفة، ما العمل؟ يمكن للباحثين كجماعة أو كأفراد، أن يقوموا بتقدير مواردهم وإكراهات محيطهم لتحقيق ما هو في متناولهم وتحت مسؤوليتهم. في هذا الصدد، لا أحد لديه الحق في إملاء دروس من فوق! كل ما يمكننا فعله هو تبادل أفكارنا واقتراحاتنا وخبراتنا، ومساهمتي هذه لحظة من هذه السيرورة. يمكننا العمل من أجل إنتاج أفضل على المستوى النظري والإمبريقي، وإدماج أفضل للباحثين- العرب وغير العرب- المهتمين بالبحث في العالم العربي، في بنيات

وشبكات منتجة. لنُبرز ونُعرف بأفضل ما أنتجه الباحثون في مجال السوسيولوجيا والعلوم الاجتماعية، لأن من مفاتيح النجاح في المجال العلمي تكمن في التراكم، التواصل والكفاح ضد بلقنة المعرفة الاجتماعية، فعلية كانت أم مقصودة، في العالم العربي.

الدار البيضاء، 28 غشت 2019

✦ المراجع

أبو بكر باقادر، الدراسات الأنثربولوجية و العالم العربي، في أبو بكر باقادرو حسن رشيق، الأنثربولوجيا في الوطن العربي، بيروت، دار الفكر،2012، ص. 13.116.

باقادر، أبو بكر أحمد وعرابي، عبد القادر، آفاق علم اجتماع عربي معاصر، دار الفكر، دمشق، 2006.

أيت منصور، هشام. مراجعة للكتابات السوسيولوجيّة باللغة العربيّة في الدول المغاربيّة بين 2000 و2016 ورقة خلفية. بيروت: المرصد العربي للعلوم الاجتماعية، المجلس العربي للعلوم الاجتماعية، 2017.

بامية، محمد. العلوم الاجتماعية في العالم العربي ،أشكال الحضور، المرصد العربي للعلوم الاجتماعية، المجلس العربي للعلوم الاجتماعية، بيروت، 2015

المصري، سعيد. الإنتاج العربي لعلم الاجتماع في مصر. دراسة لعينة من الكتب المنشورة من 2000 إلى2016، ورقة خلفية، المرصد العربي للعلوم الاجتماعية، المجلس العربي للعلوم الاجتماعية. بيروت، 2017.

بوعزيزي، محسن. السؤال اللساني: «اللغة والكتابة في العلوم السوسيولوجية»، في حنفي، ساري و بنغبريط ـ رمعون، نورية و مجاهد، مصطفى. مستقبل العلوم الاجتماعية في الوطن العربي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2014، ص. 369-355.

حنفي، ساري و بنغبريط ـ رمعون، نورية و مجاهد، مصطفى. مستقبل العلوم الاجتماعية في الوطن العربي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية،2014.

حنفي، ساري ، «الإنتاج المعرفي الإجتماعي الفلسطيني: التمويل و المحددات الوطنية»، في حنفي، ساري و بنغبريط ـ رمعون، نورية و مجاهد، مصطفى. مستقبل العلوم الاجتماعية في الوطن العربي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2014، ص. 260243.

رشيق، حسن. «دينامية الهويات الجماعية بالمغرب»، ترجمة حسن الطالب، سلسلة الدروس الإفتتاحية، الدرس الثالث و العشرون، كلية الآداب، أكادير، 2008.

رشيق، حسن. سيدي شمهروش. الطقوسي والسياسي في الأطلس الكبير، ترجمة مصطفى النحال و عبد المجيد جحفة ، دار أفريقيا الشرق الأوسط، 2010.

رشيق، حسن. «الممارسة الأنثربولوجية بالمغرب»، في أبو بكر باقادرو حسن رشيق، الأنثربولوجيا في الوطن العربي، بيروت، دار الفكر، 2011، ص. 225-117.

رشيق، حسن. القريب والبعيد ، قرن من الأنثروبولوجيا بالمغرب. ترجمة حسن الطالب. الدار البيضاء، بيروت: المركز الثقافي العربي، 2018.

رشيق، حسن ،«المعرفة المشتركة في حياة الناس اليومية، اللباس والتدين». عمران للعلوم الاجتماعية والانسانية، العدد 2، 2012، ص. 98-85.

الزبير، عروس، «مدخل إلى تاريخ الممارسة السوسيولوجية وواقعها: المدرسة الجزائرية نموذجا».

في حنفي، ساري و بنغبريط . رمعون، نورية و مجاهد، مصطفى. مستقبل العلوم الاجتماعية في الوطن العربي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2014، ص. 288-261.

الهراس، المختار، دوريات العلوم الاجتماعية العربية، مناهج، مداخل ومقاربات، المرصد العربي للعلوم الاجتماعية، المجلس العربي للعلوم الاجتماعية، بيروت، 2015

Boudon, Raymond, Introduction, in Lazarsfeld, Paul. Philosophie des sciences sociales, Paris : Gallimard, 1970, p. 26-29.

Bourdieu, Pierre. « Les condition sociales de la production sociologique : sociologie coloniale et décolonisation de la sociologie », in Collectif, Le mal de voir : ethnologie et orientalisme : politique et épistémologie, critique et autocritique. Paris, Union générale d'éditions, cop. 1976, pp. 416-427.

Cherkaoui, Mohamed. Crise de l'université: Le nouvel esprit académique et la sécularisation de la production intellectuelle. Genève : Librairie Droz, 2011.

Clifford, James and Marcus, George (ed.), Writing Culture the Poetics and Politics of Ethnography, University of California Press, 1986.

El-Kenz, Ali, «Les Sciences sociales dans les pays arabes,» ESTIME (6 Juin 2005), <http:// www.estime.ird.fr/article50.html>

Foucault, Michel, « La fonction politique de l'intellectuel », in Foucault, Michel., Dits et Ecrits, Paris, Gallimard, 1994, p. 109-114.

Geertz, Clifford, Works and Lives, The Anthroplogist as Author, Stan-

ford, California, Stanford University Press, 1988.

Hanafi, Sari and Arvanitis, Rigas. Knowledge Production in The Arab World, London: Routledge, 2016.

Majed, Rima, The Presence of Social Science in Arab Civil Society Organizations, Background Paper, Arab Social Science Monitor, Arab Council for the Social Sciences, Beirut, 2015.

Mannheim, Karl. Ideology & Utopia, An Introduction to the Sociology of Knowledge, translated from the German by Louis Wirth and Edward Shills. San Diego : A harvest Book, 1985.

Merton, Robert King. Social theory and social structure. Glencoe, Ill. : Free Press, New York, The Free Press, 1968.

Rachik, Hassan et Rahma Bourquia. 2011. « La sociologie au Maroc. » SociologieS [En ligne]. Théories et recherches. Mis en ligne le 18 octobre 2011. Consulté le 03 avril 2016. http://sociologies.revues.org/3719.

Rachik, Hassan, "Where Islamists Ditinguish Politics From Preaching", in Oasis, Venice, N°. 18, Decembre, 2013, p. 39-44.

Rachik, Hassan , L'esprit du terrain, Etudes anthropologiques au Maroc, Centre Jacques-Berque, Rabat, 2016.

https://books.openedition.org/cjb/752?lang=en

Rachik, Hassan, « La métaphore des casquettes : Neutralité et engagement du chercheur », in Kerrou, Mohmed, (dir.), Abdelkader Zghal, L'homme des questions, Cérès, Tunisie, 2017, p. 80-90.

Rachik, Hassan, Socio-anthropologie rurale Structure, organisation et changement au Maghreb, Casablanca, La croisée des Chemins, 2019.